خطوطاً دائمة أو مؤقتة؟ وقد هدفت قوات اسرائيل من وراء اعادة الانتشار والتمركز في مواقع على جبل الباروك الى ضمان عدم التعرض للهجمات السورية والفلسطينية وتلك التي تأتي من قبل التنظيمات اللبنانية. غير ان العقبة الرئيسة، هنا، ان هناك حوالى ٩٠٠ ألف فلسطيني ولبناني يعيشون خلف الخطوط الاسرائيلية الجديدة، وان هؤلاء سوف يتحولون الى مصادر للمقاومة ضد الوجود الاسرائيلي؛ وهذا ما حدث، بالفعل، وشكل مصدر التهديد الرئيس لهذا الوجود وحيث لم تفلح خطة اعادة الانتشار في حل معضلة الامن الاسرائيلي، والتي كان من المتصور، في ذهن قادة العدو (بيغن وشامير وشارون)، انها سوف تحل بمجرد تدمير البنية الاساسية لـ م.ت.ف. وترحيلها عن لبنان، وتأمين الحدود الشمالية ضد الهجمات الفلسطينية واللبنانية. فعلى الرغم من الاستعدادات العسكرية الحصينة، والتي لم تقل عن تحصينات خط بار ـ ليف الشهير، الّا ان الذعر سرعان ما دب في قلوب الاسرائيليين ـ على حد قول المؤلف ـ عقب اقامة هذه التحصينات وتقوية جيش لبنان الجنوبي العميل لاسرائيل بأقل من شهرين فقط، عندما اندفعت سيارة ملغومة في اتجاه مقر القيادة الاسرائيلية، بالقرب من صور، لتنفجر وتقتل حوالى ستين شخصاً، منهم تسعة وعشرون من كبار ضباط العدو. وقد تعدى أثر الغزو قتل الضباط والجنود وتدمير مقر القيادة وتخريب التحصينات، الى كونه صار «بداية الانهيار» ـ على حد تعبيره ـ واهتزاز ثقة القوات الاسرائيلية في امكان البقاء هناك ـ أي في لبنان ـ فترة أطول.

ورصد يانيف الخسائر الاسرائيلية بين بداية الغزو في السادس من حزيران (يونيو) ١٩٨٢ والاحتفال بمرور ثلاث سنوات على «عملية سلامة الجليل» وهو، عينه، تاريخ الانسحاب . فقد قتل ٦٤٥ اسرائيلياً؛ كما أصيب حوالى ٣٨٧٣؛ وارتفع عدد الارامل بين عائلات الضباط والجنود الى ٣٩٤؛ ووصلت تكاليف عملية الغزو الى خمسة مليارات دولار، بعد ان كان مقدراً لها ألّا تزيد على مليار ونصف المليار فقط. كان هذا هو محور الفصل الخامس الذي رصد فيه، أيضاً، عملية الانسحاب، ومراحله، ومواقف القوى السياسية داخل اسرائيل.

وفي الفصل السادس، الاخير، تناول المؤلف «المعضلة التي لم تحل» أي معضلة الامن الاسرائيلي، فذكر ان وزير الدفاع، رابين، ادرك ان مشكلة «الارهاب» الآتية من لبنان لم تحل، ولكن تمّ احتواؤها مؤقتاً، وان وعود رئيس حركة «أمل»، نبيه بري، بايقاف الهجمات ضد اسرائيل اذا تمّ حل جيش لبنان الجنوبي، بقيادة انطوان لحد، قد تصبح حقيقية في حالة اقدام الاسرائيليين على ذلك، غير انه ادرك ان سوريا سوف تسمح، ان عاجلاً أم آجلاً، لـ «التنظيمات الارهابية» التابعة لها بشن حملات «تخريبية» ضد اسرائيل. وهكذا، فان المشكلة التي اجبرت اسرائيل على غزو لبنان لم تحل من وجهة النظر الاسرائيلية؛ وعاجلاً أم اجلاً، أيضاً، سوف تجد اسرائيل نفسها مواجهة بالاختيارات القديمة عينها: القيام بعمليات محدودة وضربات وقائية ومتوقعة (سوف تؤدي الى توترات أكثر على الحدود وداخل المجتمع الاسرائيلي).

غير ان المشكلة صارت أكثر عمقاً من الحالة المحفوفة بالخطر، والتي تهدد الامن في جنوب لبنان. فقد صرح رابين بأن المشكلة الرئيسة للامن الاسرائيلي تأتي من مواجهة على نطاق واسع مع القوات النظامية العربية، بغض النظر عن تهديد الجنوب اللبناني. فاسرائيل لا تزال تتوقع استمرار، ونمو، التهديد السوري، حتى في اطار انهاء الحرب مع مصر. ذلك ان ازدياد القوة العسكرية السورية يقلل من رغبة دمشق في الوصول الى حلول وسط. هذا فضلاً عن بقاء التهديد السياسي الذي تشكله القضية الفلسطينية، والذي لم تنجح عملية الغزو، وكذلك الحصار السوري للمنظمة في بيروت وطرابلس، في انهاء القضية سياسياً. وقد تنجح اسرائيل في ضمان أمنها، من خلال تعظيم مزايا الامن في الامد القصير، ولكنها لن تضمن ذلك على المدى الاطول. وبالاضافة الى ما ذكره المؤلف، الا انه تجاهل عودة الدور الفدائي والعمليات الفدائية التي تقودها فصائل المنظمة المختلفة، وفي مقدمها «فتح»، الى الجنوب اللبناني، وقيامها بدور رئيس في عمليات المقاومة الوطنية اللبنانية وبالتنسيق مع التنظيم الشعبي الناصري في الجنوب، وهو ما يشكّل خطراً دائماً على اسرائيل، يجعلها تقوم باغارات مستمرة محاولة تدمير مواقع المقاومة الفلسطينية في الجنوب والبقاع.

أحمد ثابت